دروس روحية من سفر يونان النبي

نود اليوم أن نتحدث عن: **"دروس روحية من سفر يونان النبي"**. إنه سفر صغير، من أربع إصحاحات فقط، لكنه مملوء بالدروس الروحية العميقة، ومنها:

1-ليس أحد منسيًا:

في سفر يونان نجد أن الله- تبارك اسمه- مهتمًا بالكل. ليس أحدًا منسيًا أمامه. ولهذا نراه يعمل العمل الشامل الذي يخلص به الجميع. ومن ذلك:

- نينوى المدينة البعيدة، الغريبة، الأممية، الجاهلة، الوثنية، الغارقة في الشر والظلم. لم تكن منسية أمام الله. هذه المدينة التي جهلت الله أو نسيته، لم ينسها الله.

من غير أن تطلب نينوى الخلاص، سعى الخلاص إليها...

من غير أن تصلي، أو تسعى إلى الله، سعى الله إليها، بل أكثر من هذا أشفق عليها، بل مدحها، وقال ليونان: "أفلا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة...؟ (يون4: 11).

-الله لم ينس نينوى، وكذلك لم ينس ركاب السفينة.

سفينة سائرة في البحر، ركابها أمميون، كل واحد منهم له إله خاص، ومع ذلك لم ينسهم الرب، وخلصهم بطريقته الخاصة. فذبحوا ذبائح للرب، ونذروا نذورًا، ودخلوا في رعيته. سعى إليهم الرب وأدخلهم في الإيمان. وكما خلص نينوى بطاعة يونان، كذلك خلص ركاب السفينة بعصيان يونان.

-شخص آخر لم ينسه الرب وهو يونان النبي نفسه:

كان في خطيئته، وقد عصى الله، خالفه وهرب منه، ورفض أن يبلغ رسالته، ووقع في الأخطاء الكثيرة التي قلناها في المرة السابقة، ولكن الله لم ينسه. وظل يتعهده، حتى جذبه إلى الطاعة وعاتبه حتى خلص نفسه. وحتى عندما اغتاظ يونان بالصواب، لأن الرب خلص نينوى، وجلس شرق المدينة ليرى ماذا يحدث، وهو مغتم، يقول الكتاب **"فأعد الرب الإله يقطينة، فارتفعت فوق رأس يونان، لتكون ظلًا على رأسه، لكي يخلصه من غمه" (يون4: 6).**

عجيب هو الله، حتى عندما كان يونان مغتاظًا من عمل الله ومغتمًا، لم ينسه الله، وأراد أن يخلصه من غمه! دون أن يعاقبه أو يوبخه، أو يقول له "لماذا تقف مشيئتك ضد مشيئتي؟ إنه الله الذي لا ينسى أحدًا، الذي قال إن نسيت الأم رضيعها، فأنا لا أنساكم...

ولا تظنوا أن الوعد بعدم النسيان، خاص بأولاده القديسين فقط، فالله لا ينسى حتى الفتيلة المدخنة، والقصبة المرضوضة. وقد أوصانا بالركب المخلعة والأيدي المسترخية.

هذا الدرس الذي يقدمه لنا سفر يونان عن أنه لا يوجد أحد منسيًا أمام الله، نجده بالأكثر في العهد الجديد:

-الله لم ينس الخطاة والعشارين، لم ينس زكا العشار في وسط الزحام، ولم ينس راحاب الزانية في حصار أريحا. لم ينسنا ونحن في عمق مذلتنا، لأننا- ونحن بعد خطاة- مات المسيح لأجلنا، البار لأجل الأثمة. إنه لم ينس المريض الذي مرت عليه 38 سنة، وربما ظن نفسه منسيًا...

ولكن الله يعمل في **ملء** الزمان، في الوقت الذي يراه مناسبًا حسب حكمته، وحسب رؤيته الصائبة. وهذا هو الدرس الثاني الذي نتعلمه من سفر يونان.

2- الوقت المناسب:

لما أنَّتْ أحشاء الرب على نينوى، ولما جاء ملء الزمان للاشفاق عليها، ولما حان ميعاد خلاصها، وفقًا لحكمة الله، ووفقًا لاستعداد قلوب الناس "صارت كلمة الله إلى يونان بن أمتاي، قائلًا قم اذهب إلى نينوى". نحن لا نعلم متى يتكلم الله لأجل خلاصنا لكننا نعرف أنه لابد سيتكلم، في الوقت الذي يراه مناسبًا ونافعًا.

نينوى المدينة الشريرة الغارقة في الإثم، من ملكها الجالس على العرش إلى أفقر رعاتها، هذه المدينة الشريرة رق قلب الله لها، وقال ليونان "اذهب إلى نينوى**". فيها 120 ألف نسمة لا يعرفون يمينهم من شمالهم، لكنني أنا أعرفهم واحدًا واحدًا. وعلى الرغم من شرهم وجهلهم قد نقشتهم على كفي، وواحد منهم لا يسقط بدون إذن أبيكم.** وقد حان الآن وقت خلاصهم. إني

أرسلك إليهم في الوقت الذي رأيت فيه قلوبهم مستعدة لسماع الكلمة، ومستعدة للتوبة، بحيث إذا ناديت عليهم، فإنهم سوف يتوبون ويخلصون.

اذهب يا يونان، فإن الحقول قد ابيضت للحصاد. وسأرسلك لتحصد ما لم تتعب فيه. هناك 120 ألف نسمة، قد نضجت، وحان قطافها، لكي تمتلئ أهرائي حنطة. اذهب فاليوم يوم خلاص.

اذهب إلى نينوى، لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة، أكثر من السبعة آلاف ركبة التي لن تنحني للبعل، شعب تكفيه أول مناداة لكي يتوب في المسوح والرماد... لم يقل له "اذهب إلى نينوى المدينة الشريرة الخاطئة. بل قال على العكس "المدينة العظيمة". لأنه قد حان الوقت الذي تدعى فيها عظيمة... فستكون عظيمة في توبتها وفي سرعة استجابتها للكلمة...

ناد عليها بالهلاك، لا لأني أريدهم أن يهلكوا!! كلا، بل لأني أريد لهم الخلاص...

فالمناداة بالهلاك كانت مجرد إنذار كله حب، كان الله يعرف أنه الوسيلة النافعة لخلاصهم، والتي سيخلصون بها فعلًا. لأن الشعب سيخاف، ويفيق من غفلته ويتوب، فيستحق الخلاص... فأنا لا أريد إهلاكهم، إنما أريد خلاصهم. وكخبير بالنفوس، وبحالة هذا الشعب، أعرف أن إيقاظه لا يأتي إلا بهذه الطريقة...

3-كل الأشياء تعمل معًا للخير...

هكذا قال الرسول "كل الأشياء تعمل معًا للخير للذين يحبون الله" (رو8: 28). وهكذا تعلمنا من سفر يونان. حتى الأشياء التي تبدو سبب تعب وضيقة، هي أيضًا تعمل معًا للخير.

-الحوت الذي يبلع يونان، هو أيضًا سبب بركة عظيمة. إنه أيضًا يعمل للخير. إنه غواصة أمينة، حملت يونان وأوصلته إلى قرب مكان خدمته. هذا الحوت استطاع أن يعلم يونان الصلاة. يونان الذي لم يركع لله في السفينة، وجدناه يصلي في جوف الحوت، وينذر لله نذورًا، ويحدثه حديث الإيمان، ويخرج من الحوت لينفذ مشيئة الله التي خالفها قبلًا!!

لا تخف إن ابتلعك حوت في يوم من الأيام...

ربما يكون هذا الحوت مرسلًا إليك من الله، قد أعده الله من أجلك، لكي يحمل لك بركة خاصة، تذكر حينئذ قول الكتاب "كل الأشياء تعمل معًا للخير".

الأمواج التي كادت تقلب السفينة، كانت تعمل للخير.

هذا البحر الهائج، وهذا النوء العظيم، وهذه الأمواج العالية الصاخبة، كلها كانت تعمل معًا للخير. لولاها ما صلى ركاب السفينة، وما ذبحوا ذبائح، وما نذروا نذورًا. إنها قادتهم إلى الإيمان.

كذلك الدودة التي أكلت اليقطينة، وأحزنت يونان كانت تعمل للخير...

حقًا إنها حرمت يونان من الظل فضربته الشمس فذبل. ولكن ذلك كان لخيره. وكان سببًا أدى إلى عتاب مع الله، خلصت به نفسه.

إن الله يستطيع أن يستخدم كل شيء لخيرنا...

يستخدم خيانة يهوذا، وحسد حنان وقيافا، وجبن بيلاطس، كل ذلك للخير، لإتمام عمل الفداء العظيم. يكفي أن أي أمر يقع في يد الله لكي يحوله إلى خير، حتى إن كان شرًا... أخوة يوسف باعوه كعبد، ولكن الله حول هذا الشر إلى خير. والمهم أننا نؤمن بصلاح الله، وخيرية عمله، وحسن تدخله في الأمور. ولهذا لم يقل الكتاب فقط "كل الأشياء تعمل معًا للخير" وإنما أضاف "للذين يحبون الله".

حقًا إن الذين يحبون الله، تعمل معهم كل الأشياء للخير.

ليس كل الناس تعمل معهم كل الأشياء للخير. فكثيرون تأتيهم الضيقات فيتذمرون ويتضجرون، ويشكون ويجدفون لكن الذي يحب الرب، حينما تأتيه ضيقة، يفكر: ما هي البركة التي يريدها الرب لي من وراء هذه الضيقة. وهكذا تعمل معه كل الأشياء للخير.

هناك آية جميلة معزية في أول سفر التكوين، في نهاية قصة الخليقة، يقول فيها الوحي الإلهي (تك1: 31)

"ورأى الله كل ما عمله، فإذا هو حسن جدًا".

حتى التنين العظيم في البر أو البحر رآه الله حسنًا جدًا. كل شيء نراه جميلًا بعين الإيمان، وبعين المحبة، وبالعين البسيطة. هل تظنون أن القردة ترى ابنها أقل جمالًا من الغزال؟ كلا.

إن كان داخلنا سليمًا، فسنفرح بكل شيء، حتى بالحوت الذي يبتلعنا، وبالبحر الهائج الذي يكاد يقلب سفينتنا...

حتى خطية يونان في هروبه حولها الله إلى خير.

ركب يونان سفينة وهرب من الله، فاستخدم الله هذا الهروب سببًا لخلاص أهل السفينة. كما أن عناد يونان مع الله، حوله الله إلى خير، فخرج منه يونان أكثر معرفة بالله وطرقه، وأكثر نضوجًا في حياته الروحية وفي فهمه وأخذ دروسًا روحية كثيرة من قصص السفينة والحوت واليقطينة...

ويمكننا أن نأخذ درسًا روحيًا آخر من سفر يونان هو:

4- طيبة الله:

+ كان طيبًا مع أهل السفينة الأمميين: قبل صلواتهم، كما قبل فيما بعد صلوات كرنيليوس الأممي. وبقبوله صلوات غير المؤمنين، حولهم إلى مؤمنين. كذلك كان معهم في القرعة، وأرشدهم بها إلى الاسم الصحيح. وأخيرًا هدأ البحر ونجاهم.

+وكما كان طيبًا مع ركاب السفينة، كان طيبًا مع نينوى.

هذه المدينة الخاطئة التي كانت تستحق الهلاك، بمجرد أن تابت "ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه" (يون3: 10). ونسي كل خطاياها القديمة، وصارت أمامه بيضاء كالثلج، حتى اغتاظ يونان من طيبة الله!

+وبنفس الطيبة التي اغتاظ منها يونان، عامل الرب يونان!

لا شك أن الله كان طيبًا مع يونان الذي خالف أوامره، وهرب منه ولم يهتم بخلاص12,000 نسمة، بل اغتاظ بالصواب حتى الموت (يون4: 9). ولكن الله عامله بطول أناة عجيبة، وأشفق عليه، وأنبت له يقطينة تظلل عليه حتى يخلصه من غمه. وناقشه في محبة، وشرح له حكمة تدابيره الإلهية.

+وكان الله طيبًا في التوفيق بين أولاده:

رأى الله أمامه مشكلة يونان ونينوى. إن أنقذ نينوى اغتاظ يونان. ولو أرضى يونان لابد أن يهلك نينوى. ولكن إلهنا الطيب بكل محبة وهدوء، وضع يده على رأسيهما، واستطاع أن يوفق بين خلاصهما معًا... واحتمل غيظ أحدهما وغمه إلى حين، حتى اقتنع ووفق...

+وفي طيبة الله نراه سلك بالعمل الإيجابي وليس السلبي

لم يقل كلمة توبيخ واحدة لنينوى الخاطئة، ولم يعنف أو يعاقب نبيه المخالف. لم يستعرض أمامه الأخطاء ويبكت عليها، إنما سلك في الطريق الإيجابي، طريق الإصلاح والبناء والخلاص...

في الواقع إننا في سفر يونان لا نرى عقوبة بل إصلاحًا.

> *الأمواج الصاخبة التي لطمت السفينة لم تكن عقوبة، فالله كان يحب ركاب السفينة، وقد خلصهم. والحوت الذي بلع يونان لم يكن عقوبة، وإنما كان إيقاظًا له، فالله كان يحب يونان الذي أمر الحوت أن يبلعه، وقد أمر الحوت فقذف به دون أن يؤذيه. كذلك مع نينوى، لم تكن مناداة يونان عليها عقوبة بل إصلاحًا...*

يعطينا سفر يونان درسًا آخر وهو:

5-الله دائمًا يعمل، وينجح في عمله:

لا تظنوا أن راحة الله في اليوم السابع، معناها أنه أبطل العمل، فربنا يسوع المسيح يقول:"أبي يعمل حتى الآن وأنا أيضًا أعمل".

وفي سفر يونان نجد أن الله عمل من أجل ثلاثة أغراض:

1-خلاص أهل نينوى.

2-خلاص ركاب السفينة.

3-خلاص يونان نفسه.

وضع الله أمامه خريطة المنطقة: هنا يونان، هنا البحر والسفينة، هنا الحوت، هنا الدودة، هنا الشمس... ويظل يصدر أوامره كقائد حكيم.

اذهب أيها الحوت، ستجد سفينة ما بين يافا وترشيش، قف عندها، وأفتح فاك واستعد. قم أيها البحر، وأيها الموج، الطم السفينة حتى تكاد تنقلب. اصعدي أيتها الدودة وكلي اليقطينة. وأنت أيتها الريح الشرقية الحارة، التهبي من حرارة الشمس، واضربي رأس يونان.

وعملت كل هذه الأجهزة من أجل قضية الخلاص ونجح الله في عمله، على الرغم من كل المعوقات البشرية، واستطاع أن يخلص الكل بمحبته وحكمته.

وبعد، إن الدروس الروحية في سفر يونان النبي كثيرة جدًا. وقد وضعت لك كتابًا عنه، يمكنك أن ترجع إليه. ولنستغل الصوم الكبير في حديث عن سلسلة أخرى من المقالات تناسب هذه الأيام المقدسة، أعادها الله علينا بالخير والبركة...

مقال لقداسة البابا شنوده الثالث - جريدة اوطني - 01-مارس-1992م